

تفسير ابن كثير

دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ

وقوله : (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب

العالمين) أي : هذا حال أهل الجنة . قال ابن جريج : أخبرت أن قوله : (دعواهم فيها

سبحانك اللهم) [قال : إذا مر بهم الطير يشتهونه ، قالوا : سبحانك اللهم] وذلك دعواهم

فيأتيهم الملك بما يشتهونه ، فيسلم عليهم ، فيردون عليه . فذلك قوله : (وتحيتهم فيها

سلام) قال : فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم ، فذلك قوله : (وآخر دعواهم أن الحمد لله

رب العالمين) وقال مقاتل بن حيان : إذا أراد أهل الجنة أن يدعوا بالطعام قال أحدهم : (

سبحانك اللهم) قال : فيقوم على أحدهم عشرة آلاف خادم ، مع كل خادم صحيفة من

ذهب ، فيها طعام ليس في الأخرى ، قال : فيأكل منهن كلهن . وقال سفيان الثوري :

إذا أراد أحدهم أن يدعو بشيء قال : (سبحانك اللهم) وهذه الآية فيها شبه من قوله : (

تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما) [الأحزاب : 44] ، وقوله : (لا يسمعون

فيها لغوا ولا تأثيما إلا قليلا سلاما سلاما) [الواقعة : 25 ، 26] . وقوله : (سلام قولاً
من رب رحيم) [يس : 58] . وقوله : (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم بما صبرتم فنعمة عقيب الدار) [الرعد : 23 ، 24] . وقوله : (وآخر دعواهم أن
الحمد لله رب العالمين) هذا فيه دلالة على أن الله تعالى هو المحمود أبداً ، المعبود
على طول المدى ؛ ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره ، وفي ابتداء كتابه ،
وعند ابتداء تنزيله ، حيث يقول تعالى : (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) [
الكهف : 1] ، (الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض) [الأنعام : 1] إلى غير
ذلك من الأحوال التي يطول بسطها ، وأنه المحمود في الأول و [في] الآخر ، في
الحياة الدنيا وفي الآخرة ، في جميع الأحوال ؛ ولهذا جاء في الحديث : " إن أهل الجنة
يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس " وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون من
تضاعف نعم الله عليهم ، فتكرر وتعاد وتزاد ، فليس لها انقضاء ولا أمد ، فلا إله إلا هو
ولا رب سواه .